



لا يزال طيران الأسد يفتاك بالعشرات من المدنيين السوريين يومياً، أطفال ونساء وشيوخ لا حول لهم ولا قوة، يقتلهم في الأسواق ومحطات الباصات والمنازل والأفراح وأماكن العبادة. العالم يتبع ويشاهد البراميل تنزيل عشوائياً على كل هذه الأماكن، تفتك بالبشر تقطع الأوصال وتحرق الأجسام وتتفنّي البشر والحجر، ولا يفعل شيئاً. قبل يومين فقط، ارتكب الأسد عبر طائراته أربعة مجازر راح ضحيتها أكثر من 140 مدني بالإضافة إلى 200 جريح.

الولايات المتحدة قبل غيرها تعرف من أين تخرج هذه الطائرات، وأي مسار تسلك وأين تصل وأين تلقى براميلها وكيف ومتى تعود وإلى أين، هي لا تكتفي بأن لا تفعل شيئاً حيال الأمر وبا ليتها تكتفي بذلك، بل تعترض عملياً على أي مقترن أو خطوة من شأنها أن تمنع طائرات الأسد من أن تصبّ حمّها على الناس عشوائياً.

الحظر الجوي كان ولا يزال من أشهر ما طالب الشعب السوري به المجتمع الدولي وأصدقاء سوريا، فلا هم أدركوه ولا مكثوه من إدراك أنفسهم. الذرائع كانت أكبر وأطول من أن نذكرها في مقال، لكنّها تترواح بين الخوف من أنظمة الدفاع الصاروخية المهرئة للنظام السوري، والتي يستمتع الإسرائييليون يومياً في إذلالها، وبين التكلفة المالية لإقامة مثل هذا الحظر، علمًا أنّ نفقات الإعاقة الإنسانية للهاربين من هذه البراميل تجاوزات حدود تكلفة عمليات عسكرية كبرى، وبين القول إنه لا يمكن تزويد المقاتلين بأي أسلحة مضادة للطائرات خوفاً من سقوطها في الأيدي الخطأ.

في بعض الأحيان كان الجواب أغرب من أن يصدق. في إحدى المرات قبل حوالي ثلث سنوات، دُعيت إلى منزل أحد السفراء الأوروبيين وكان هناك صدقة تجمعني مع مسؤول الملف السياسي لديه، وقد حضر في ذلك اليوم أيضاً وفد برلماني إلى منزله للاستماع إلى وجهة نظري حول التطورات في سوريا.

إحدى النقاط التي ذكرتها هي ضرورة تحديد سلاح الجو التابع لنظام الأسد خاصة أنه لا يستخدم لضرب أهداف عسكرية وإنما هدفه الأساسي هو المدنيين وهذا أمر لا يجب أن يقبل به أي أحد. الجواب كان "طالما أنّ السوريين يعرفون أنّ ذلك سيحصل لهم، فلماذا ثاروا على الأسد أصلاً"!

عموماً، لا يزال الجدل العقيم حول الحظر الجوي قائماً منذ أربع سنوات، ورغم كل ما قيل أو يقال عن أنّ هناك أملاً في

تطبيق حظر جوي، إلا أنَّ الحقيقة أنَّ البيت الأبيض ولا سيما الرئيس أوباما بالتحديد لا يريدون ولن يقوموا بتنفيذ حظر جوي على الإطلاق. هذا أمر محسوم ويجب على كل من لا يزال يعتقد أنَّ هناك إمكانية لحصوله أن ينسى هذا الأمر تماماً.

أما أن تقوم الولايات المتحدة بتزويد المقاتلين بأسلحة نوعية مضادة للطائرات، أو أن تافق على الموضوع فهذا أمر لن يحصل على الأرجح أيضاً على الإطلاق. لا الآن ولا مستقبلاً.

الاقتراح الآخر الذي تحاول بعض الدول الإقليمية الضغط باتجاه تنفيذه، هو تأمين غطاء جوي للمقاتلين المنخرطين ضمن برنامج التدريب والتسليح عند تخرجهم منه ودخولهم إلى داخل سوريا.

هناك اعتراف من قبل المسؤولين العسكريين الأمريكيين القائمين على هذا البرنامج أنَّ عدم وجود غطاء جوي لهؤلاء المقاتلين بعد الزج بهم داخل سوريا سيؤدي إلى فشل البرنامج وبالتالي لن يكونوا قادرين على إنجاز المهمة الموكلة إليهم، لكنَّ البيت الأبيض لا يزال متمسكاً بمعارضة هذا الأمر.

وكان مايكل ناغاتا الجنرال المسؤول عن البرنامج قد طرح سابقاً هذه النقطة أمام الإدارة الأمريكية وحصل جدل كبير بخصوصها لا يزال قائماً حتى اليوم، ولم تتفق الإدارة الأمريكية حتى الآن على هذا الطلب البسيط كي لا يتربّط عليها أيَّة التزامات أو مسؤوليات مستقبلية إزاء هذا الأمر، علمًاً أنَّها نجحت في توظيف برنامج التدريب والتسليح لخدمة مصالحها بالدرجة الأولى قبل غيرها. فهي تريد أن تأخذ ولا تريد أن تعطي!

صحيح أنَّ المنخرطين في هذا البرنامج سيسْتَفِيدُون من التدريب والتسليح وقد يشكّلوا لاحقاً ربما نواة جيش سوري محترف ومنضبط ويمتلك القيم والمبادئ التي تخلوُهُ أداء مهمته بكفاءة عالية، لكنَّ ذلك الوقت ستكون أولوية هؤلاء بالنسبة للجانب الأمريكي مقاتلة "داعش" وليس الأسد.

تركيا وقطر وال سعودية تتفق من حيث المبدأ على ضرورة فرض منطقة حظر جوي وعلى ضرورة إنشاء منطقة آمنة في سوريا، لكنها حتى هذه اللحظة لم تستطع إجبار الولايات المتحدة على المضي قدماً في هذا المشروع، كما أنَّها لم تتخذ في المقابل قراراً للقيام بهذه الخطوة من دون الولايات المتحدة، وهنا مكمن الخلل في المعادلة. المشروع برمته لا يزال تحت رحمة الأمريكيين، وهو الأمر الذي ينطبق أيضاً على موضوع تزويد المعارضة بأسلحة مضادة للطائرات.

أما بالنسبة إلى موضوع تأمين الغطاء الجوي للمتزوجين من برنامج التدريب والتسليح، فقد كان وزير الخارجية التركية تشاوش أوغلو قد صرَّح في وقت سابق الأسبوع الماضي أنَّه تم الاتفاق مع الولايات المتحدة على هذا الأمر، لكنَّ ردَّ الأمريكيين بالنفي كان سريعاً جداً. لقد كان تشاوش أوغلو يريد من وراء تصريحه دفع الموضوع بشكل ايجابي إلى الأمم على أمل أن يستجيب الأمريكيون لذلك.

خلاصة، يمكن القول أنَّ ليس هناك اتفاقاليوم حتى على هذا الطرح البسيط، وفي المقابل يتم طرح فكرة أخرى من قبل الجانب الأمريكي تقوم على تصور مفاده أنَّ يقوم التحالف بتأمين الغطاء الجوي اللازم لهؤلاء المتزوجين من برنامج التدريب والتسليح حالماً يصبحوا "قوة معتبرة"، ومكمن التلاعُب في هذا الموضوع هو تعريف "القوة المعتبرة" أو لأنَّ ذلك قد يعني الانتظار إلى أنَّ يصبحوا بالآلاف وهذا سيطلب وقتاً طويلاً من دون شك (في حدود الأدنى عامين)، وثانياً لأنَّ تنفيذ فكرة الدعم الجوي (على فرض تم الالتزام به) لا يرقى في هذه الحالة إلى مستوى الحظر الجوي لأنَّه سيكون في أماكن تواجد القوة المتزوجة فقط، ما يعني أنَّ إمكانية أنَّ يقوم الأسد بتصف المواقع التي لا تتواجد فيها القوة أو قصف المواقع التي تتواجد فيها قوات لفصائل ليست من ضمن المتزوجين من برنامج التدريب بما في ذلك المدنيين في هذه المناطق، ستبقى

قائمة كما هي الآن.

السورية نت

المصادر: